محاورات لـــوتى

المحاورة الثالثة

للأديب الفرنسي بر ـ بوفيه رفونتنيل

بقلم الأديب ـسف روشا

هوميروس وإيزوب

هوميروس : صاحب الملحمتين الذين الالياذة والأوديسة ، عاش حوالى ٨٥٠ قبل المسيح ، ومن ـب ما يحكى أن الرسام أغاثون قد دفعه تعصبه لهوميروس إلى أن ـوره وهو يقيء وسائر الشعراء يزدردون قيئه.

إيزوب : مؤلف وفيلسوف ـيقى ، صاحب القصص الخرافية المشهورة ، عاش فى القرن السادس ـل المسيح ، وكان عبداً ثم أعتق لنبوغه .

الحـ ـرة

هوميروس : ليس من الممكن حقاً أن تظفر كل هـذه القصص الخرافية التى قرأتها عن بإعجاب الناس كثيراً . على أنك لو لم تكن على جانب عظيم من الفن ما استطعت أن تضمن قصصك القصيرة هذه العظات البالغات ، وأن تذيع أفكارك القيمة على ألسنة البهائم .

إيزوب : ما أجمل المديح لهـذا الفن يصدر عنك أنت الذى تجيده كل الإجادة !

هوميروس : أنا ؟ أنا لم أحاوله قط .

إيزوب : ما ذا ؟ ألم تزعم أنك ضمنت مؤلفاتك عظات بالغات ؟

هوميروس : مع الأسف لم يخطر ذلك على بالى

إيزوب : ولكن العلماء فى زمانى قالوا كلهم ذلك ، وقد أقبلوا على الإلياذة والأوديسة فاستعاروا صورهما ، وصاغوا منها أجمل المعانى الرمزية ، مؤكدين أن جميع أسرار اللاهوت والطبيعيات والأدب ، حتى الرياضيات مبثوثة فى ما كتبت ، على أن نشرهم لتلك الروائع لم يكن سهلاً هينا ؛ فبينما كان أحدهم يجد معنى أخلاقياً إذا بالآخر يراه طبيعياً . ولكن ما عدا ذلك لم يكن هناك اختلاف فى أنك كنت محيطاً بكل شيء ، ولقد قلت كل شيء للذين يفهمون ما كنت تقول

هوميروس : أقول لك الحق ، لقد وقع فى نفسى أن بعض الناس لا يعجزون عن استنباط أروع المعانى وأبلغ العبر مما كتبت ، مع أنى لم أقصد إلى شيء من ذلك . ما أسهل على المرء أن يتنبأ عن حوادث بعيدة ثم ينتظر وقوعها ، أو أن يقص حكايات خرافية ثم ينتظر من يطبق عليها المجازات !

إيزوب : لا شك أنك كنت جريئاً بعض الشيء فى إلقائك عبء إدخال المجازات فى شعرك على كواهل قرائك . أين كنت تكون لو أنهم فهموها على معناها الحرفي ؟

هوميروس : هدىء من روعك ، فإن ذلك لو حدث لما نشأ عنه نكبة عظمى كما تتصور

إيزوب : كيف ! وهؤلاء الآلهة الذين شوه بعضهم بعضاً ! أما ترى إلى كبير الآلهة « جوبيتر » كيف يتوعد زوجه البارعة « جونو » فى أحد اجتماعات الآلهة بضربها ؛ وإلى مارس إله الحرب وقد جرحه « ديوميدس » جرحا بليغاً كيف يصرخ كما تقول بقوة تسعة آلاف أو عشرة آلاف رجل ، ومع ذلك لا يعمل ما يعمله رجل واحد ! فبدلاً من أن يمزق اليونانيين شر ممزق لا يرى غضاضة فى أن يذهب إلى كبير الآلهة يشكو له جراحه ! كان فى الإمكان أن تبلغ هذا الغرض من غير حاجة إلى استعمال المجازات

هوميروس : وما ذا على من ذلك ؟ أتتصور أن الطبيعة البشرية لا تتوخى غير الحقيقة ؟ إذن ما أضلك ! إن هناك عطفاً متبادلاً واتصالاً وثيقاً بين الذكاء البشرى والكذب . فإذا أردت أن يستسيغ الناس الحقيقة فلا بد أن تكسوها بالأساطير ، على حين أن الأساطير لا تحتاج إلى الحقيقة ليستسيغها الناس ! فالحقيقة إذن مضطرة إلى أن تستعير وجه الكذب ليتقبلها ضمير الإنسان قبولا حسناً ، ولكن الكذب ينفذ إلى قلب الإنسان